

1. تعريف النقد التاريخي

العصر الحديث. والمتبع لتعريف النقد التاريخي يجده يعرف أنه: "يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما". وبالتالي فهذا النقد يهتم بمدى تأثير الإنتاج الأدبي، أو صاحبه بالبيئة التي يعيش فيها، والمراحل التي مر بها هذا العمل الأدبي لتوازن بين هاتيه الآراء التي وصفت هذا العمل وتصدر أحكاما لتقييمه.

لقد ركز هذا المنهج النقدي على العلاقة الوطيدة بين العمل الأدبي والمجتمع الذي يتغير بفعل الزمن، كتغير العادات والتقاليد، والأزياء وأنماط السلوك، ويهتم بجوانب التاريخ والذوق والمعرفة لتحليل النص الأدبي كما يقسم النقد التاريخي الأدب تقسيما سياسيا فيقال: أدب جاهلي، أدب إسلامي، أدب أموي، أدب عباسي، أدب حديث، أدب معاصر.

أما ظهور هذا النقد فيرجع إلى القرن السابع عشر في إنجلترا، وهذا ما عبر عنه الدكتور الربيعي بن سلامة في قوله: وإذا كان المنهج التاريخي قد بدأ في إنجلترا، فإن المدرسة الفرنسية هي التي احتضنته وسهرت على تطويره، فلم تقنع بما يتوصل إليه من نتائج نسبية، وإنما حاولت أن تجعل منه منهجا علميا، كمناهج العلوم الطبيعية والبيولوجية، وذلك بالتخلي عن الذاتية التي تتمثل في الذوق الشخصي والاعتماد على القوانين الموضوعية التي يمكن تطبيقها على كل الأدباء، وعلى كل الأعمال الأدبية، دون أن تتأثر بأهواء الباحث أو ميوله الشخصية³.

2. رواد النقد التاريخي

أرسى قواعد هذا النقد مجموعة من النقاد الكبار دعوا إلى ربط الأدب بالحياة، وتحليله تحليلا نقديا مستفيدا من المعطيات التاريخية، من هؤلاء النقاد نذكر هيبوليت تين، وفردينان برونثير، ولانسون، وسانت بيف. وسنشير إلى ناقدين فقط أسهما إسهاما كبيرا في انتشار هذا النقد وهما: تين، ولانسون.

الناقد الفرنسي تين الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وجهده محصور في: "ربط الأدب" بالعوامل الثلاثة المكونة له وهي: البيئ، الجنس، الوسط.

وهذه النظرية تعتبر ترجمة معتدلة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة، والتي تتحكم فيها عوامل حددها تين وهي:

1- البيئة التي ينشأ فيها المبدع.

2- الثقافة.

3- التربية.

4- العوامل الزمانية والمكانية المؤثرة فيه والتي تصبغ أدبه.

والناقد الثاني هولانسون الذي تتلمذ على يديه طه حسين ومن بعده تلميذه محمد مندور، وأصبح المنهج التاريخي في النقد يسمى اللانسونية نسبة إلى لانسون، بهدف تأسيس نظرية شاملة.

أعلن هذا الناقد الفرنسي عن هويته النقدية والمنهجية سنة 1909، حدد من خلالها خطوات المنهج التاريخي في النقد الأدبي.

3. النقد التاريخي عند العرب

وبانتقالنا للساحة العربية، فإن بداية القرن العشرين، أعلنت بداية الممارسة النقدية التاريخية، على يد نقاد تتلمذوا على رموز هذا النقد نذكر منهم: طه حسين، زكي مبارك، أحمد أمين، العقاد، سيد قطب، محمد مندور هذا الأخير يعد الجسر التاريخي المباشر بين النقاد الفرنسي والعربي، حين أصدر كتابه النقد المنهجي عند العرب وكان ذلك في حدود 1946.

والمتتبع لمؤلفات هؤلاء النقاد العرب يجد أثر هذا النقد، فطه حسين في كتابه "حديث الأربعاء" تبني هذا النقد في دراسته لشعر الغزل في العصر الأموي⁷، وربط هذا بروح العصر.

وتناول العقاد في كتابه العبقريات بعض الشخصيات الدينية، واستند على بعض حوادث بارزة فذة في تاريخ بعض الشخصيات لتصور شخصية بطلها.

4. عيوب النقد التاريخي:

هذا وقد وجهت لهذا النقد بعض المآخذ، كونه يهتم بصاحب النص والبيئة الإبداعية على حساب النص ذاته، وتركيزه على المحتوى وربطه بالسياقات الخارجية بعيدا عن خصوصية العمل الإبداعي، ومن أخطر مخاطر المنهج التاريخي، الاستقراء الناقص، والأحكام الجازمة، والتعميم العلمي... فالظن والترجيح وترك الباب مفتوحا لما يجب كشفه من المستندات، اسلم من الجزم والقطع.

إن الاهتمام بالجوانب الخارجية للنص الإبداعي، أصاب هذا النقد في مقتل، فالنقد يجب أن يتنطلق من النص ويعود إليه، والنقد التاريخي أضيق من أن يتسع لهذا النص المراوغ الذي يحتاج إلى ميدان أوسع وأخصب من هذا النقد التاريخي المحدود.